من الفضاءات الافتراضية الى الهويات الجديدة

بوطبل عبدالقادر
باحث في العلوم الاجتماعية
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

ملخص:

تتلخص هذه الدراسة حول النظرة السوسيولوجية لمدى اكتشاف هويات جديدة طغت على الهوية الأصلية في الآونة الأخيرة ضمن المجال المجتمعي البشري الذي تحول إلى فضاء افتراضي لا يمكن السيطرة عليه او ترويضه من خلال اطر واستراتيجيات مضمونة تمكن من التنبؤ مستقبلا عكس المجتمعات الواقعية الأصلية، مما أدى إلى بروز معاني ومفاهيم يمكن القول أنها سوسيوافتراضية متغيرة غير ثابتة تمدنا بمعاني مختلفة في نفس المجال ونفس الزمان، حتى أصبح هناك إفراد افتراضيين نتعامل معهم في مجتمع غير المجتمع لا نعرف عنهم شيء غير أننا مرتبطين من حيث وجودنا في العالم الافتراضي الذي الغ أهم المقومات المجتمعية كاللغة والدين والعرق والرقعة الجغرافية، أصبحت تجمعنا اتجاهات وإيديولوجيات تتحكم في مصيرنا كمجتمع واحد.

الكلمات المفتاحية:

الهوية- الهوية الافتراضية الفضاءات الافتراضية

مقدمة:

أتاحت تكنولوجيا الاتصال فرص عديدة للتواصل بظهور عدة تطبيقات تكنولوجية من بينها تطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي، فأصبح مستخدم هذه المواقع بإمكانه التعرف والتواصل مع أفراد آخرين لا يعرفهم ومن أماكن مختلفة سواء بعيدة أو قريبة بكل سهولة، فأصبحت هذه المواقع عبارة عن فضاءات افتراضية ذات منصات يقدم فيها الفرد نفسه ليتحول من فرد عادي إلى فرد افتراضي ينتمي إلى مجتمع افتراضي يبحث عن أرضية مناسبة لتقديم هوية افتراضية وفق شروط افتراضية مست جوانب عديدة منها اللغة المستخدمة والبيانات الشخصية في التفاعل بين المستخدمين للتعبير عن ذواتهم أو استبدالها بأخرى مزيفة، وهذا ما شكل أزمة هوياتية أثرت في تفاعلاتهم وأفعالهم الاجتماعية جعلت من الأفراد يكتسبون هوية مشتتة بين الهوية الافتراضية و الهوية الواقعية الأصلية لهم.

الأهمية:

تتجلى أهمية هذه الورقة البحثية في أهمية الانترنت كوسيلة اتصال من نوع أخر وأول على المستوى العالمي، وثانيا النظر في مسالة الهوية وإعادة التعرف على مكوناتها وأبعادها من جديد خاصة في العصر الحالي أي عصر الرقمنة والعولمة.

ثم مدى تفاعل وقبول العنصر البشري لهوية جديدة تتعارض والواقع المعاش.

الأهداف:

- التعرف والتعريف بالهوية الافتراضية.
- الكشف على الفضاءات الافتراضية.
- التعرف على مكانة الهوية الافتراضية في المجتمع الحقيقي.
- الاطلاع على كم من الدراسات حول موضوع الهوية الافتراضية.
- التوصل إلي مفهوم عام حول الهوية الافتراضية في المجتمعات العربية.

تحديد المفاهيم إجرائيا:

1- الهوية: هي كل ما يميز الفرد عن غيره فيزيولوجيا ونفسيا واقتصاديا واجتماعيا، ويمكن القول أنها كل البيانات التي تخص الشخص العادي من الاسم واللقب والجنس ومكان الاقامة والجنسية والدين والمعتقد واللغة، باعتبارها الوعاء الخاص الذي يحمله كل فرد في مجتمعه.

2- الهوية الافتراضية: هي عبارة عن بيانات شخصية يقدمها الفرد على شبكة الانترنت في الفضاءات الافتراضية لتميزه عن غيره حيث أنها لا تخضع لسمة الثبات كالهوية الحقيقية ولا للحدود الجغرافية، فهي متغيرة متعددة.

3- الفضاءات الافتراضية: هي عبارة عن مواقع تواصل اجتماعية على شبكة الانترنت تتيح الفرصة لجميع فئات وشرائح المجتمع بالتواصل والتفاعل مع بعضهم البعض بدون التزامات زمنية ومكانية.

أولا: مفهوم عام حول الهوية والهوية الافتراضية:

تعتبر الهوية من أهم المواضيع الشائكة التي كانت و لا تزال حيز الدراسة و الفهم من قبل الباحثين وعلماء الاجتماع في شتى الميادين و التخصصات، باعتبارها المقصد الوحيد للتميز بين الفرد وغيره في مجموعة ما كالمؤسسات بمختلف نشاطاتها أو في مجتمع من المجتمعات، فلا يُعرف الفرد إلا من هويته، ولا نقصد هنا الهوية الشخصية فقط كالاسم واللقب والإقامة والطول وغيرها، بل تمتد إلى ما هو أوسع نطاقا من ذلك كالثقافة والدين والمعتقدات واللغة وما نحو ذلك.

إلا أن في الآونة الأخيرة مع ظهور التكنولوجيا وعالم الرقمنة وطغيان الانترنت في جميع مجالات الحياة وانفتاح المجتمعات على بعضها البعض مما ادى إلى ظهور ما يسمى بالمجتمعات الافتراضية الذي أصبحت ملاذا للتواصل بأشكال مختلفة وجديدة لا بديل للفرد في الغنى عنها (فايسبوك، تويتر، استغرام، فيبر ....وغيره)، والولوج إلى هذا العالم الذي فرض نفسه وبكل قوة.

هذا ما أعطي شكل جديد للتعارف و التمايز عن الأخر سمي بالهوية الافتراضية على غرار الهوية الأصلية أو الحقيقية للفرد.

ومن هذا المنطلق سوف نقدم بعض المفاهيم حول الهوية والهوية الافتراضية مع طرح مكونات وأبعاد الهوية الافتراضية

1- الهوية:

تعرف الهوية على أنها مجموعة من المقومات الأساسية المكونة للخصوصية المميزة لكيان ما على أخر، وهي تتكون من: الدين، اللغة، الثقافة، الجنس، الأرض والتاريخ، فالهوية هي حصيلة المعاني التي يرسمها الفرد عن نفسه انطلاقا من خبراته التي يبنيها من تفاعلاته مع الأخر.

فالهوية متحولة ومتفاعلة مع الواقع والتاريخ. (احمين، 2017، صفحة 63)

كما يقصد بالهوية حسب تعدد تعريفاتها إنها: تعني فهم الفرد لذاته في علاقته بالآخرين، ولا تتوقف بما هو نفسي وشخصي فحسب بل تمتد إلى ما هو اجتماعي من خلال التفاعل مع الآخرين، كما يمكن وصفها بالمنبع الذي ينهل منه الأفراد في تذللهم لمعاني الأشياء والأحداث، إذ يبني الفرد معني شيئ ما أو حدث ما انطلاقا من مميزات سوسيوثقافية تربطه به. (عادل، 2016)

فمن هذه التعاريف يمكن فهم أن للهوية مقاصد ومعاني جلية يمكن معرفتها وقراءتها عبر عدة وجهات نظر مختلفة، لكن في حقيقة الأمر ومن الناحية السوسيولوجية فهي عبارة عن سيمات وميزات خفية يمكن أن لا تدرك حتى لصاحبها، فهي تكمن في جميع ما يحيط به في بيئته الذي يعيش فيها ولا تتغير بل تتكيف مع تكيف الفرد في مختلف تحركاته ونشاطاته وأعماله.

فهوية الطفل تبقي نفسها هويته عندما يكبر لكنه يكتسب صفات وميزات أخرى تدخل في تركيبة الهوية من حيث انتمائه لمجموعة ما أو انتقاله من مكان لأخر يعيش فيه وهذا ما يضفي على هويته التكيف والقبول، فعلى سبيل المثال من ولد في الجزائر وهو ذكر أبويه جزائريين الأصل مسلمين، تبقي هويته انه جزائري الجنسية مسلم حتى لو عاش في الصين وغير من شكله ولبسه وعمله ولغته، لكن في الأصل انه اكتسب هوية جديدة تضاف إلى هويته الأصلية ولا تلغيها .

2- الهوية الافتراضية:

في حقيقة الأمر إن مسمى الهوية الافتراضية هو شكل من أشكال الهوية الأصلية للفرد إلا انه يفصل الفرد عن عالمه الحقيقي ومجتمعه الأصلي الذي يعيش فيه ويدخله عالم أخر لا حدود له ولا موقع ولا وقت محدد فيه للتفاعل والاتصال، وهو عالم افتراضي لا يمكن الحكم عليه بالصدق والحقيقة فجل مستعملي هذه المواقع الافتراضية لا يمكن معرفة حقيقتهم فقد تكون البيانات الموجودة على الموقع مزيفة لا تعكس حقيقة المرء وشكله وكلامه أو تعليقاته، فهناك من يرمز له بصورة فنان أو رياضي أو حتى حيوان واسم مستعار أو قد يكون ذكر وله صورة أنثى والعكس وهذا ما يبقي هذه الصيغة خفية افتراضية محتملة التغير أو الحذف في أي وقت، حيث أثبتت بعض الدراسات في علم النفس الاجتماعي أن كل هذه الاستعارات والكنايات والتصرفات ما هي إلا تصور لما يجوب داخل الفرد ومكبوح بداخله لا يستطيع البوح به وإخراجه في عالمه الحقيقي، وهذا ما سيقودنا إلى بعض التعاريف للهوية الافتراضية ومكوناتها والفرق بينها وبين الهوية الحقيقية وكيف للفرد إن يكتسب هوية جديدة في ظل الفضاءات الافتراضية.

يطلق لفظ الهوية الافتراضية على الآثار والحركات والتحركات جميعها التي يقوم بها المستخدم عند تبحره في الانترنت. (احمين، 2017، صفحة 128)

ويكون لها ثلاث خلفيات:

- الإطار الذاتي للشخصية (الهوية الوطنية الواقعية)
- الإطار الافتراضي (الهوية الافتراضية العالمية)
- الإطار الثقافي الطبيعي. (احمين، 2017، صفحة 130)

كما يمكن أن نفهمها أو نفسرها ضمن ثلاث مستويات:

- الهوية المعلنة: وهي المعلومات التي يقدمها المستخدم قد تكون حقيقية أو مزيفة.
- الهوية النشطة: هي النشاط التي يقوم به المستخدم في العالم الافتراضي.
- الهوية المحسوبة: وهي حالة المستخدم أثناء اتصاله بالانترنت (اون- لاين) أو (اوف – لاين). (احمين، 2017، صفحة 131)

كما تعرف الهوية الافتراضية على أنها مجموعة المعطيات والآثار المرتبطة باسم ما (لقب، اسم)، هذه المعطيات تشكل جملة المعلومات المزدوجة في نماذج des Formulaires عبر المواقع، أما الآثار الرقمية فهي مجموعة المقالات، التعليقات، الفيديوهات، الصور ووجهات النظر والموافق مثل: الإعجاب التي من خلالها نتشارك في الويب، وفي الوقت نفسه ما يكتب أو يدرجه الآخرون حولنا. (عادل، 2016، صفحة 277)

وتعتبر كذلك: بأنها مجموعة الصفات والرموز والبيانات التي يستخدمها الأفراد في تقديم أنفسهم للآخرين في المجتمعات الافتراضية ويتعاملون من خلالها. (مسعود، 2016، صفحة 470)

وحسب موسوعة الويب Webopedia تعرف الهوية الافتراضية Virtual identity : بأنها الشخصية التي يتم إنشاؤها من طرف المستخدم الإنسان يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعي والشخص الظاهري للمستخدمين.

انطلاقا من هذه التعاريف يمكن القول أن الهوية الافتراضية ما هي إلا تقمص لهوية مستعارة لشخص حقيقي تعبر عن كل م لا يستطيع البوح به في عالمه الحقيقي، وتكون تنشط في مجتمع افتراضي ذات صلة وثيقة بالمجتمع الحقيقي، لكن يمكن أن نري بعض الناشطين السياسيين والكتاب وغيرهم من فئات المجتمع ينشطون في المجتمعات الافتراضية بشخصياتهم الحقيقية كالصورة والاسم والوظيفة وغيرها من البيانات التي تدل عليهم، لكن حقيقة هذا

النشاط يكون إما ممنوع عليهم في المجتمع الحقيقي أو لا يملكون الجرأة لتقديم ما يقومون به على الواقع.

هذا دليل على أن للهوية الافتراضية أهمية بالغة لتجسيد الواقع وإعطاء الصورة الحقيقية للشخص المستخدم، حيث أصبحنا نعيش في مجتمعيين احدهما حقيقي والثاني افتراضي، فبعد الانتهاء من أعمالنا و أدوارنا في المجتمع الحقيقي كل منا يتوجه مباشرة ليجوب في مجتمعه الافتراضي من خلال أي فضاء من الفضاءات الافتراضية الذي يحسن التعامله فيه جيدا.

ومن هنا يمكن إعطاء أو تلخيص بعض الخصائص الهامة حول الهوية الافتراضية على النحو التالي:

- إنها غامضة وأفراد العالم الافتراضي مشتتون، حيث يمكن لأي مستخدم أن تكون له أكثر من شخصية متعددة.

- تستفيد الهوية الافتراضية من خصائص الشبكة العنكبوتية كالتفاعلية مع نظيراتها ومع مختلف الأحداث المحلية والدولية.

- تأخذ التمكين خاصية لها بحيث تتجاوز حدود الزمان والمكان.

- تتمتع بحرية منقطعة النظير وتمارس بحق الحق في الاتصال لما تنفرد به من نقد ومشاركة.

- إنها صعبة المعرفة وان عرف أصحابها فان مشاعرهم الافتراضية عادة ما تختلف عن المشاعر التي يتميزون بها في عالمهم الحقيقي، وربما كانت هي مشاعرهم الحقيقة.

- إن في الفضاء الافتراضي أكثر شكل استراتيجي تقترب منه هو هوية الواجهة حيث يتظاهر الفرد بهوية أخرى تلك التي هو عليها فعلا، في محاولة منه لتفادي الانتقاد أو بحثا عن الإرضاء، وهي ظرفية أو مستمرة تعالج موقف ما. (عادل، 2016، صفحة 278)

ثانيا: التداخل بين الهوية الحقيقية والهوية الافتراضية

في هذا العنصر ينصب اهتمامنا حول ما مدي لجوء الفرد الى الهوية الافتراضية على غرار الهوية الحقيقية، ما يجعل جل المبحرين في الفضاءات الافتراضية إلى الانصياع للبحث عن حرية أكثر لمعالجة قضايا غالبا ما ترتبط بالواقع، فعلى سبيل المثال المتابع للقضايا السياسية يجد ذلك التفاعل الذي يبذله المطلعون على الصحف الالكترونية أو النسخ الالكترونية للجرائد الورقية، فيما قد يتجاوز الرأي إلى تعقيب على بعض الآراء وقد بلغت هذه العملية ذروتها في القضايا

الكبرى كالانتخابات أو تعديل الدستور وغيرها من القضايا الذي تمس الرأي العام في المجتمع الحقيقي.

فعلى هذا الأساس لا يمكن الفصل بين الهويتين أو الاستغناء عن أحداهما، فقد أصبحت الهوية الافتراضية جزءا لا يتجزأ من كينونة الإنسان فان أخوض في عالم افتراضيا لا دريت لي بتفاصيله ولا اعلم مع من أخوض هذا العراك لا بد لي أن اكتسب هوية تمنحني صفة أتميز بها عن الأخر مهما تميز هو عني.

ففي الأخير يبقي الفرد هو المتحكم والمسيطر على خصوصياته إلا أن الواقع المعاش فرض علينا ان ننغمس في فضاءات افتراضية أصبحت تتحكم في تصرفاتنا وسلوكياتنا رغما عنا.

ثالثا: عرض لبعض الفضاءات الافتراضية

لقد أصبح العالم كقرية صغيرة يمكن التواصل في لحظات وفترات لا تدعي بذل الجهد الكبير وفي أوقات نحن نحددها وكل هذا في فضاء نتحكم في مصيرنا فيه بالرغم عن عدم إمكانية الاستغناء عنه، فهل يمكن ان نبقى على هذا الحال؟ والي متى؟

اكبر دليل على هذا ومثال واضح على احد الفضاءات الافتراضية وهو موقع الفيسبوك او كما يسمي الفضاء الأزرق

الفيسبوك بالانجليزية Facebook هو موقع تواصل اجتماعي يمكن المستخدمين من مشاركة الصور، ونشر التعليقات، وروابط الأخبار او أي محتوى أخر مثير للاهتمام، كما يمكنهم من لعب الألعاب والدردشة وبث الفيديو المباشر.

وهو موقع الشبكات الاجتماعية الأكثر شيوعا والأكثر شعبية على الانترنت، ويمكن الوصول او استخدام موقع الفيسبوك من خلال أي متصفح انترنت وذلك عن طريق الدخول الى الموقع الرسمي لهwww.facbook.com ، كما انه متوفر على شكل تطبيق للهواتف المحمولة والأجهزة اللوحية.

الانستغرام: ويع من احد شبكات التواصل الاجتماعي ويستخدم لالتقاط الصور الفوتوغرافية والفيديو، وتعديلها، ثم شاركتها كما انه يعتبر من تطبيقات التواصل الاجتماعي، حيث انه مخصص لمشاركة الصور ومقاطع الفيديو من الهواتف الذكية كغيره من مواقع التواصل، وعندما ينشئ فرد حسابا عليه فانه يظهر له الملف الشخصي الخاص به، كما سيتمكن من نشر صورة أو مقطع فيديو ثم يتم عرضها على ذلك الملف، ويستطيع المتابعون لهذا الشخص رؤية المنشور، وكذلك سيرى الشخص مشاركات الآخرين الذين تابعهم.

وعلى غرار هذه المواقع قد نجد الكثير منها للتواصل الاجتماعي والتجول في عالم افتراضيا، ويعتبر هذا عرض مبسط لموقعين مهمين في عملية التواصل الاجتماعي.

رابعا: الهوية الافتراضية الجماعية

تعتبر الهوية الجماعية كوعاء حامل الصفات والميزات التي تتصف بها جماعة ما في مكان العمل أو مؤسسة لهم نفس المواصفات والسمات يتفقون في نشاط واحد ويتشاركون في قضية واحدة، مما تفضي عليهم صفة الهوية الجماعية.

ولكن هذا يمكن ان يكون في مجتمع حقيقي يعيشون فيه أفراد في مكان واد وتجمعهم عادات وتقاليد ومعتقدات لا يمكن تفرقتهم

أما في العالم الافتراضي فقد فقد تجمعهم قضية واحدة لا كن لا يجمعهم نفس المكان والزمان والدين واللغة وغيرها من أساسيات الهوية الجماعية.

ولهذا تكتسب الهوية الجماعية في العالم الافتراضي حسب المقومات التي قضايا الحياة الاجتماعية للأفراد لا عاداتهم ومعتقداتهم، فقد يكون من يشاركني الرأي في قضية ما من بلد لا اعرفه ومختلف عني في كثير من الأمور لا كن هويته الافتراضية وتجوله في عالم افتراضيا ألقى به في مجموعة تتلائم خصائصهم الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية، مما يكسبه هوية جماعية حسب مايميل له في عالمه الافتراضي.

الخاتمة:

في أخر هذه الورقة البحثية يمكن القول أن الهوية الافتراضية لا يمكن حصرها في تعاريف أو خصائص جلية، لأننا في عالم لا ندرك حدوده وأبعاده، فعالمنا الافتراضي غير ثابت مستمر قابل للتغير في أي وقت، فهل يمكن أن نحكم على شخص ما على أساس افتراضي؟ يمكن أن يكون لا دخل له فيه، وهذا ما يطول بنا شرحه وتفسيره عبر دراسات مستمرة تتتابع والتحولات والتغيرات الطارئة في أي وقت.

المراجع:

1- بايوسف مسعود. (2016). الهوية الافتراضية: الخصاءص والابعاد، دراسة استكشافية على عينة من المشتركين في الفضاءات الافتراضية. *مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية* .

2- بن هناس سعيد عادل. (2016). من الهوية الحقيقية الى الهوية الافتراضية. *مجلة انسنة للبحوث والدراسات* (1)، 273-282.

3- عبد الحكيم احمين. (2017). *الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية*. الرباط، المغرب: دار الامان.